اللاهوت الإسلامى
الحـدود والجسـور

كينيث أ. كراج

«رب البصر والأمل» هى واحدة من أعظم كلمات **العهد الجديد** ويجب أن تكون أبعادها والتى هى أهم جـزء فى صلاتنا مسيطرة دائمًـا على أفكارنا وممارساتنا فى التنصير. فنحن نقرأ: «أما الحكمـة النازلة من فوق فهى طاهرة قبل كل شىء وهى مسالمة متسامحة ويجب علينا أن نتـمسك بهذا الترتيب وتكميله بالصدق والانفتاح الروحى».

ولدراسة مـا قد تعنيه أو تتطلـبه هذه الأمور سـوف يكون جهدنا منصـبًا على مضامين اللاهوت أكثر منه على إمكانية التطبـيق العملى فى التنصير حيث سيجرى الاهتمام بالجزء الأخير فى مكان آخر أثناء هذا المؤتمر حيث يجب أن يركز بالضرورة على فهـمنا لأوجه النزاع بين العـقيـدتين، لذلك قد يكون من الصـواب والحكمة العودة إلى المراجع منذ البداية، إن مـهمة التفكير فى الجسور والعـقبات التى تنتظر النصارى فيما يتعلق بعملهم بين المسلمين تقودنا مباشرة إلى **القرآن** وإلى موقفنا منه باعتباره القول الفصل فى الحـياة الإسلامية والدين الإسلامى، ويجب علينا أن ننوه منذ البداية أننا لا نطالب أنفسنا بحكم مـجرد ومسبق عن مكانة **القرآن** النهائية، إذ أن القيام بذلك من شـأنه استبعاد الوصـول لأى حكم! وأنه من الصواب والحكمة أن نقوم بدراسة **القرآن** والبحث فـيه دون الدخول فى قرارات نظرية بشـأنه سواء كانت إسلامية أم غـيرها، فنحن نكن له احترامًا موقرًا فـقط بسبب التزام المسلمين به، كما نحـمل بصبر رغبـة نصرانية للمضى قـدمًا بكل إخلاص لمعرفـة ما يعنيه ذلك الالتزام بالنسبة للمسلمين لأن **القرآن** هو المصدر الحقيقى لجميع معتقداتهم.

وهذا ليس مجرد تذرع بالحجج، كما أنه ليس مساومة فى مسألة كمال النصرانية فإذا أردنا من المسلمين أن يفهموا حقيـقة جديدة أو أن يكتشفوا مضامين أوسع فى هذه الحقـيقة، أليـس من الأجدى أن نستـخدم **القرآن** ذاته لمساعدتهم على إدراك ذلك؟ وفى الواقع (كما نأمل هذه الصفحات أن تثبت) فإن النصـارى غـالبًا ما قللوا من قيـمة كتـاب المسلمين المقـدس بالنسبة لما نسـميه إمكانـيات القرآن «النصـرانية الكامنة». وهذا مرده بلا شك لتاريخ طويل من العداء والتنافـر والاتهامات المتبادلة الباطلـة. وأنه من الحكمة أن نتـرفع عن ذلك دون أن يعيق هذا الاتجـاه مواجهـتنا

للمشاكل والمناقشات المتعلقة بنبذ بعض الأمور المنصوص عليها فى بعض أجزاء **القرآن** أو الناجمة عن تخوفنا من المخاطر التى قد يوقعنا فيها الأمل.

إن احتمالات هذا النوع من الأمل غنية جداً ولها سابقة فى استقبال النصارى لرسالة **العهد القديم**، وما من نصرانى حصيف يمكن أن يفترض مثلاً أن النبرة الكئيبة التى تسود **سفر الجامعة** أو النبرة القومية الصرفة فى بعض المزامير مثل المزموران ٦٨ و١٣٧ منسجمة مع **الكتاب المقدس**، وقد يقال إن هذه جميعًا جزء من الوحى الذى يبشر بكمال المسيح بينما القرآن، بما فيه من مصادر مختلفة تشكل أساس القلق النصرانى، قد جاء فى فترة لاحقة للمسيح، ولكن متى كانت الحقيقة مبنية أساسًا على التاريخ؟ فالمكان والزمان عاملان مهمان جداً عندما نحاول أن نفهم أهمية القرآن، ففى القرن السابع للميلاد كانت الجزيرة العربية أشبه بسامرة **القديس إيليا** منها بأورشليم يسوع أو إسكندرية **فيلو أو أفسس يوحنا**، ومع ذلك فالمسألة النهائية بالنسبة لنا ليست فى كيفية تقييم **القرآن** فى أرضه وإنما ماهية المفاتيح والحلول التى يمكن أن يقدمها لنا لزرع الثقة بالإنجيل فى العالم الإسلامى، وعلى افتراض أن نفهم معاييرها فإن «الحكمة النازلة من فوق» تقول بأن الحلول كثيرة وأنها يجب أن تستخدم بواسطة «الصبر والأمل» النصرانى.

وبالطبع يجب أن نبدأ بالإدراك القرآنى الإسلامى الشامل لكينونة الرب ووحدته وقدسيته ورحمته ومغفرته، وأفضل ما يعرف به الإسلام هو العبارة التى استخدمها لوثر بفعالية كبيرة حين قال: «دع الرب يكن ربّاً»، والإسلام له مفهومه الخاص لهذه العبارة ولكن الدعوة لنبذ الأصنام وإنكارها والإقرار بسلطة الله وحده وحكمته وقوته ورحمته وعدم «اتخاذ إله غير الله» عن إيمان وثقة هى الركن الأساسى فى العقيدة الإسلامية، وربما كانت عبارة «فيا أبنائى، تجنبوا الأوثان!» هى آخر كلمات **العهد الجديد**، ولهذه الكلمات وقعها الخاص الذى يختلف عن وقع «لا إله إلا الله» التى تنطلق من المآذن، وعلى كل حال يوجد الكثير فى هذه الإرادة الفريدة لنبذ عبادة آلهة عدة كما أنها تؤكد حقيقة الرب الأوحد، «والكثير» الموجود فى هذه العبارة الإسلامية يمكن أن نتأمله ونفكر فيه إذا أدركنا تغلغل الوثنية فى أذهان كثير من الناس بما فى ذلك المثقفين، إن تقديمنا الولاء المطلق لأى

رب مزيف أو عقيدة أو جنس أو فريق أو أمة أو تجارة أو مذهب هو وثنية أكثر سوءًا وشناعة من حجارة وتماثيل «البدائيين»، وبالطبع فإن العقيدتين تختلفان اختلافًا شديدًا بشأن الكيفية التى يمكننا بها التحرر من هذه الأوثان (انظر أسفله)، غير أن هنالك مفهومًا إيجابيّاً عميقًا فى إصرار الإسلام على أن الله فقط هو الرب وعلى أن العبادة الصحيحة هى التى تقضى على العبادات الخاطئة.

وسوف يطرح السؤال طبعًا فيما إذا كان رب الإسلام ورب **الكتاب المقدس** هما رب واحد، وهنا لا يمكن الإجابة سلبًا أو إيجابًا، بل بكليهما معًا، فالرب كموضوع فى جميع اللغات هو بالضرورة واحد غير أن ما تعنيه أو ما تتضمنه اللغة المسندة بشأنه مختلف تمام الاختلاف، وطالما أن الغرض من الأوصاف المسندة هو تعريف المسند إليه فإن التباين فى الإسناد يدخل فى مفهوم المسند إليه، ومن الواضح أن هذا التباين يخص موضوعًا واحدًا وإلا ما أدرك الناس أن هنالك تباينًا، وبالتالى لما كان هنالك سبب للإشارة إليه، وقد حمل **القديس بولس** لشعب المذبح فى أثينا أنباء رب **الكتاب المقدس**، غير أنه ذكر بأنه نفس الرب الذى «يعبدونه بجهل»، فهو لا يطلب منهم إنكار مقاصد عبادتهم بل العثور عليها مضمنة فى حقيقة الرب من خلال المسيح، والذى ينكره **الرسول بولس** هو مسند «مجهول» والذى قد يكون «لا ماليًا» أو «مهتمّاً بالبشر بشكل مشبوه» وقال الرسول بولس «فهذا الذى تعبدونه ولا تعرفونه هو الذى أبشركم به»، إن حركة التنصير إجمالاً مهتمة بقضية فهم الناس للأسس التى يقوم عليها اعتقاد النصارى بالرب، وفحوى هذا الاعتقاد مجمل فى معنى ورسالة وجروح وصلب يسوع الذى هو المسيح المخلص، ومما لا طائل وراءه أن نستخدم هذه المضامين النصرانية الرائعة إن لم تكن عن حق متعلقة بالله رب المسلمين، والمسألة الملحة هى أن هذه المفاهيم النصرانية لم تفهم بعد على أنها ترتبط به، وهذا ما يجعل التنصير أمرًا ملحّاً. إذن فالرب موضوع جميع الأنظمة اللاهوتية هو رب واحد. أما بالنسبة للأوصاف المسندة إليه وفقًا لما تؤكده العقيدة وتعززه إليه العبادة فإن المسلمين والنصارى يردون على بعضهم بعضًا أحيانًا بالإيجاب وأحيانًا بالسلب، وبصفة عامة فإن جوانب الإيجاب فى نظرة المسلمين إلى الصفات النصرانية المسندة إلى الرب هى

التى تشكل الجسور التى يمكن الوصول إليهم عبرها، أما الجوانب السلبية فإنها تشكل العقبات، وهذه الجوانب السلبية والإيجابية تتفرع بدورها فى المسائل المتعلقة بالطبيعة البشرية والخطيئة والتاريخ والعالم.

دعونا نواصل الحديث عن الجسور، إن **للقرآن والإنجيل** أرضية مشتركة من الإيمان بالخلق: «هو (الله) الذى يقول كن فيكون»، إن الخلق المبدع هو لله والأرض الطيبة كذلك والتى ينظر إليها على إنها مسكن الإنسان ومجال نشاطه و«الأمانة» التى حملها، والإنسان هو «خليفة» الرب فى «حكم» النظام الطبيعى وهو فى ذلك مسير بإرادة إلهية، وتفهم الغاية الإلهية بالنسبة للعالم من خلال تسخيره للإنسان الفلاح والزارع والتقنى والفنان والعالم الذى يمتلك ويستكشف ويستغل العالم بتفويض إلهى كما أنه يكون مسئولاً عن أعماله هذه أمام الرب، فالإنسان مخلوق أدنى من الرب وهو عبد للسلطة الإلهية، وخليفة ومندوب فى مواجهة الطبيعة.

من هذا المنطلق توجد جوانب عديدة من الفهم المشترك تساعدنا على القيام باتخاذ الموقف الصحيح فى وجه كل ما من شأنه أن يتعدى على الكرامة الإنسانية والمجد الإلهى، وليس فقط فيما يتعلق بالقضايا المعاصرة كالسلطة، والبيئة، والمسئولية عن الموارد والعدل الاجتماعى والتراحم بل بأكثر من هذا، والقرآن (سورة ٢ : ٣٣ وما بعدها) يرى أن الشيطان هو رأس الاتهام، فبعد أن اعترض على خلافة الإنسان ثم تمرد على الرب لنفس السبب، فإن هدفه التاريخى هو إغواء البشر وتشتيت وإفساد العمل البشرى والثقافة حتى يستطيع أن يثبت للرب خطأ ما قام به بتكريمه للدور الإنسانى، ومن وجهة نظر الشيطان فإن العملية كلها مغامرة إلهية مضحكة، وهذه الموضوعات مثيرة جداً وإذا كان من الواجب «أن ندع الرب يكون رباً» يجب علينا كذلك «أن نجعل الإنسان يكون إنساناً». ومعنى ذلك أنه يجب أن نفهم أزمة مهمتنا وارتهان الغاية الإلهية باستجابتنا، ومن هنا بالطبع كانت ضرورة الهدى كما يطلق عليه الإسلام والذى يسترشد به الإنسان فى أزمة مصيره عبر التاريخ، ومن هنا أيضًا جاء تعاقب الأنبياء المرسلين لتحذير وتوجيه الاستجابة البشرية، إذن فالنظرة القرآنية إلى الأنبياء فى التاريخ لا تختلف كثيرًا عن مرامى أمثلة المسيح عن الكرم والكرامين والرسل، فخصوصية مهمة اليهود غير

واردة، ولكن مسئولية الإنسان أمام الرب فى تسخير الطبيعة عبر التاريخ حقيقة هامة فى المفهوم الإسلامى للخلق وفى مكانة النبوءة المتميزة فى التاريخ.

هنا تبرز بعض العقبات، ولكن قبل أن نتطرق إليها هنالك بعض السمات القرآنية الأخرى لمخلوقية الإنسان الأساسية والتى تساعدنا فى مهمتنا، فالطبيعة تحت وصاية الإنسان هى بالنسبة للقرآن دنيا من الآيات، وهذا اللفظ موجود فى كل صفحة من صفحات القرآن تقريبًا، إن الآيات تشد الانتباه وهذا هو أساس العلم كله فالإنسان يلاحظ ويراقب ويصنف ثم يسخر الظواهر الطبيعية، والإسلام هنا يشعر بالفخر والاعتزاز فى تشجيعه السيادة الإنسانية من خلال اليقظة الماهرة والقيام بالجهد اللازم وبكل دقة، ونحن ننحنى لننتصر، فالطبيعة لم تعط العلوم من خلال طرح بيانات معينة بل حقق ذلك الإنسان من خلال التساؤلات التى طرحها على الطبيعة «والتى» قامت بالرد عليها.

غير أن اليقظة التى تتطلبها هذه الآيات هى أكثر بكثير من كونها عقلانية وعلمية، فهى بالأحرى دينية وروحية، فالآيات تثير فى الإنسان اليقظ شعورًا بالشكر والعرفان، أما الإنسان اللامبالى أو الغليظ القلب فلا يلاحظها، إن إنجاب الزوجة للأولاد أو خصوبة الأرض هى بالنسبة للشخص اللامبالى والغليظ القلب مجرد أمر «عادى» ولكنها عند التقى أمر لا حدود لروعته ورهبته، إن هذا الشعور بالقدسية (وهذا التعبير غير مبالغ) فى القرآن يحمل احتمالاً كافيًا عميقًا لعملنا على نشر دعوة المسيح، فإذا كان النظام الطبيعى هو العالم الذى تمارس فيه بصورة ملموسة الشمائل التى ننسبها للرب مثل الرحمة والخير والعناية ألا يمكن للتاريخ، أو حتى للشخصية، استيعاب آية تجسد المسيح الشاملة بكل شىء؟ من المؤكد أن الغموض الداخلى فى مسألة تجسيد الذات الإلهية ليس مغايرًا للاعتقاد بأنه حيثما يظهر الله آياته يكون بإمكاننا ملاحظتها، إضافة إلى ذلك فإن «الشكر لله» هو الشعور الصحيح بالإدراك والعرفان، أو ليس الدين النصرانى هو أكثر العقائد تعبيرًا عن العرفان لأن لديه الكثير مما يستوجب ذلك وخاصة فيما تمثله أبعاد المذود والصليب من تضحية إلهية ونكران ذات؟ أن تأكيد القرآن على العرفان واضح جداً ولعل إشارة القرآن إلى «إن أكثرهم لا يشكرون» هى أكبر عبارة مذكرة موجهة للبشرية.

والآن هل يمكننا توسيع حدود العرفان البشرى ليشمل روعة التخليص من الخطيئة والرحمة إضافة إلى الطبيعة ومخلوقية الإنسان؟ إن مفتاح ذلك هو على الأقل هنا، ومن الأهمية بمكان أن القرآن يستخدم كلمة شكر كتعبير مناقض لكلمة كفر، وكلمة كفر تعبير واسع يعنى كل من يكذب بالله، ونحن نستحق اللوم الشديد عندما نتصرف ببساطة كما لو أن الله غير موجود، إن أقصى الإلحاد هو ليس فى إنكار الله بل فى تجاهله، إن هذا الإهمال وهذه اللامبالاة هى الصفة الأساسية للكافر الذى ينكر الله، وفى المقابل فإن أفضل تعبير عن العرفان لا يكون بإعلان الإيمان بل بروح التقوى ابتغاء وجه الله كما يذكر القرآن فى تعبير مثير للمشاعر فى مكان آخر.

إن هذه التأملات لا تجيب بحال من الأحوال على كل ما علق بأذهاننا فى بداية هذا الحديث عندما ركزنا على «الاحتمالات» النصرانية الكامنة فى القرآن، وليس هنالك شك فى أن مهمتنا تستدعى الاعتراف بهذه المعطيات الإيجابية بشكل يماثل حكمة وبصيرة **الرسول بولس** فى معالجة مسألة المذبح فى أثينا أو حكمة ذلك الكاتب الذى ضمن مقدمته **لإنجيل القديس يوحنا** جوهو الحكمة العقلانية فى التراث الإغريقى. فنحن بالتأكيد لدينا مبرر أقوى مما كان لدى **الرسول بولس** أو لدى مؤلف **مقدمة إنجيل القديس يوحنا**، ولا نقول بهذا لأنه يحقق السلام والوفاق لأن هذا يعتبر موقفًا انتهازيًا وإنما لأنه من الأمانة والإبداع والعدل أن نفعل ذلك وأن نبذل قصارى جهدنا لتفسير المعطيات على أسس إيجابية تتسم بالمتعة، ويجب أن تعنى هذه المهام بالمتهيبين أو المتشككين فى المجتمع النصرانى الذين يجب احترام ولاءاتهم وتمحيصها، كما يجب أن تعنى بالمترددين أو الذين يقاومون النصرانية بين المسلمين بسبب تشككهم فى إخلاصنا أو فى المعرفة النصرانية الماهرة بكتابهم.

إن النفور الموروث لا يزول بسهولة، وكثيرًا ما يؤكد القرآن على أنه قدم بطريقة تسهل على الناس فهمه، **فالقرآن** ليس طلسمًا قصد به إخفاء الحقيقة من خلال التعبير والأخبار كما تدعى ذلك فئة من الأحبار ونحن لن نندم إذا درسنا وتتبعنا جدية **القرآن** ومن ثم اكتشفنا الوجهة التى يقودنا إليها، وبتسخير كل ما لدينا من

صدق ودهاء من أجل المسيح علينا أن نتنبه إلى جدية **القرآن**، وهذا شيء كان من المفروض أن نقوم به منذ زمن طويل جداً.

ومع ذلك وكلما تعمقنا فى محاولتنا للوصول إلى المخزون النصرانى فى **القرآن** كلما زادت المشاكل، وقد يكون هذا الأمر لا مفر منه والحقيقة فإن الوعى الكامل لما نحن بصدده لهو واحد من أهم أسباب القيام بالعمل، وإذا كان لزامًا علينا أن نستوثق من أننا لسنا فى وهم فيما نسعى إليه فإنه من الواجب علينا كذلك أن نتأكد من أننا لسنا تحت وهم تحاملنا على الإسلام أو تبلد أحساسينا، فكلما دققنا **القرآن** «بالحكمة الصافية والمسالمة» وتوغلنا فيه بنفس الروح، كلما تمكنا من إدراك الحواجز والإحساس بها، وعلى الرغم من ذلك فسوف يكون لدينا المزيد من «الأمل والصبر» للتغلب على هذه الحواجز.

وهذه أمور بالطبع تتعلق بفهم الإنسان وفهم المسيح مخلصًا وربّاً، وهما مفهومان يكملان بعضهما بعضًا، لقد رأينا كيف يشرع الإسلام فيما يخص الله والإنسان، وإضافة إلى ذلك يرى **القرآن** أن هذا التشريع يلائم الطاعة فى وجود شروط معينة تمثلها بصورة عامة الدولة الإسلامية التى أنيط بها النظام السياسى منذ الهجرة، ويأتى بعد ذلك نمط الحياة اليومى (الصلوات اليومية الخمس، والصوم والحج والزكاة) ونظام التكافل الجماعى فى الأمة الإسلامية، وعلى ضوء هذا وبالإضافة إلى فحوى التقاليد التى تدعمها وتعززها فقد نظر الإسلام إلى الإنسان على أنه يمكن أن يتحسن حتى يبلغ درجة الكمال، فالإسلام بصورة عامة (على الرغم من وجود استثناءات هامة) ينادى على الفور وبسهولة: «الخير الذى أرجو لم أتمكن منه والشر الذى لم أرده هو ما أفعل»، فالإسلام واثق بأن التشريع فى **القرآن** والرحمة فى المجتمع والسنة التى يمكن أن تحتذى والانضباط فى الأنماط الاجتماعية والرعاية التى يمكن أن يوفرها نظام الحكم الإسلامى ستكون كافية لتحقيق واجب الإنسان والدعوة الموجهة إليه لعبودية الله.

إن مهمتنا النصرانية هى تقديم تجربتنا التى لمسناها عن الحاجة الماسة للرحمة والغفران وللولادة من جديد، ولنا أن نتساءل: ألا يوجد هنالك خطر من الكبرياء والذى يؤدى بالتالى إلى تجريده من الخير فى عملية الالتزام بالشريعة؟ ألا يجرى

كثيراً خـرق التشريع الأخلاقى أثناء الالتزام بالشعائر إمـا بـسبب فتـور هذا الالتزام أو بسبب عـدم الجدارة الروحـية؟ إن الخطيئـة التى نقف بها أمـام الرب أعمق من الشـجاعـة التى تبدو بهـا الجـريمة فى أعـين الناس، وهنالك الجـانب السلبى فى الشريعة ذلك الجانب الذى يشـجب الأحوال التى تنتهك فيها، إن حـاجتنا للرحمة والغفران من وجهـة النظر النصرانية لهى جلية واضحة، كمـا أن قدسية الرب التى يلتزم بها الإسلام بكل إخلاص تجعل الرحمة والغفران ممكنة بالنسبة لنا على أساس شروط منسجمة مع القدسية التى تعدينا على حدودها.

وفى هذا الجزء من اللاهوت النصرانى هنالك حاجة ملحة فى الجانب السلبى تدعـو لتحـرير الفكر الإسلامى مـن الإحسـاس الخاطئ الذى يشـيره مصطلح «الخطيئة الأولى» فى نفوس المسلمين، إن هذا المصطلح يعنى بالنسبة للمسلمين أن هنالك من الشرور البشرية ما لا يكون بمقدرة رحمة الرب أن تشملة وعلى أن نظرة **الكتاب المقدس** النصرانى للخلق نظرة فاسـدة، وعلى العكس فما وجود الخطيئة إلا لوجود العمل الطيب أى أن للخطيـئة معنى فقط لأن العمل الطيب له معنى واضح فى الحياة، وكلمـة «أولى» تعنى أن أنانية الإنسان تسيطر على شخصـيته كلها ولايمكن حـصرها فى فساد الجـسد أو الأفعال الخـارجية التى تخالف الشرع الإلهى، فمن المؤكد أن خطايا الروح والتـفاخر بالتقوى وضلال العقل هـى من وجهة نظر يـسوع أشد إثمًـا من مخـالفات «جابـى الضرائب» القـانونية ومن «آثام الجـسـد»، نحن بحاجـة إلى الصـبر والإخـلاص لنفسـر للمسلمين ونؤكد المعنى النصرانى لوضع الإنسان أمام الرب.

ولكن، وعلى الرغم من أن هذا الجانب من الدعوة النصرانية جانب أساسى فإن **الكتاب المقدس** يركز بشكل كبير على مسألة الرحمة والغفران الكافية لأن نولد من جديد من خـلال المسيح المصلـوب، وهنا فإن **الكتـاب المقدس** الذى يدعو إلى أن عيسى هو المخلص يلزمه أن يواجه الحيرة الأساسية والكراهية الراسخة فى الإسلام لهذا المفـهوم، ولكن حتى هنا وبسـبب صعوبة المـهام التى نواجهـها هنالك بعض الأمور اللاهوتية العقيدية التى ينبغى توضيحها.

انطلاقًا من مقطع هام فى القرآن (٤ : ١٥٧ وما يليها) ونـتيجة لاعتبارات أخرى فى اللاهوت الإسلامى، فإن الإسلام يرى:

(أ) أن المسيح لم يصلب.

(ب) أن الصلب ما كان من الواجب أن يحدث.

(ج) أن الصلب لا حاجة له أن يحدث.

فالإسـلام ينكر حدوث الواقعـة تاريخياً ويرفض احتـمال حدوثهـا على أساس أخلاقى كما يرفض الضرورة لها على أساس عقائدى.

أما من الناحيـة التاريخية فيوجـد الاعتقاد السائد برفع المسـيح إلى السماء وإبداله بشخص يشبهه اعتقد خطأ بأنه يسوع، ويجب أن نلاحظ هنا بأن هذا يبقينا مع يسوع والذى حاول بعض الرجال قـتله، ومع يسوع الذى كان على استعـداد للمعاناة، لأن عمليـة «الإنقاذ» التى «تخلصه» جاءت فى اللحظة الأخيرة فقط، وهى طبعًـا ليست ذات قيمـة لولا وجود خطر مهلك كان قد أضمـر له، لذلك فإنه لا يزال بإمكاننا أن نرى فى نية صلب المسيح المبشر والمداوى قدرًا من خطيئـة العالم التى تمثل جانبًا كبيرًا فى **الكتاب المقدس** للمسيح المصلوب، ولكن التساؤلات المتعلقة بما إذا كان المسيح قد عانى حقّـاً، وإذا كان الرب «يصالح العالم مع ذاته» من خلال مـعاناة المسيح، لا يمكن مواجـهتها إلا من خـلال اعتقـادين آخرين يتعلقـان بإنكار الإسلام لصلب المسيح، فـالمسلمون يعـتقدون أن يسـوع ما كان ينبـغى أن يتعذب بـهذا المعنى الذى يتضمن عجز الرب أو إهماله فى الدفاع عن خادمه (بل وأكثر من هذا إن قلنا ابنه!). ومن هذا المنطلق فإن الرب «يودع قدرته» فى حقـيقة أن المسيح لم يمت، علاوة على ذلك فإن تحمل عقاب الإثم نيابة عن الآخرين ليس من الأخلاق فى شىء.

فالقرآن يقول: ﴿**وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ [الأنعام ١٦٤]. إذ ليس من العـدل معـاقـبة (أ) لذنب ارتكبـه (ب)، ولهـذا فالمسلمـون يشعرون بأن فكرة البديل النصرانية هى فكرة غير أخلاقية إلى حد بعيد.

ولكن هل فهم المسلمـون المعنى الذى يرمى إليه **الكتاب المقدس**؟ فمفهـوم معاناة بعضنا عن بعض لا يكمن فى تحمل الإثم ولكن يكمن فـى تحمل الشر، ففى حكاية

خطيئة الابن الضال المسرف نلاحظ أن الإثم وعار الدهر كله الذى حاق كان بالابن بسبب خطيئة كانت من نصيب الابن وليس الأب، ولكن مأساة الأب تتمثل فى الحب الدائم والقلب الموجع والعاطفة المتجددة، وما بدا للابن حماقة وخطيئة متعمدة كانت للأب مأساة وحزنًا، وإذا سادت العلاقات الوجدانية فإن الابن يتمكن من العودة ويعود إلى أبيه (قارن ذلك بموقف الابن الأكبر)، هذا هو تحمل الخطيئة، والصليب هو مقياس ذلك فى قلب الرب لأن الصليب يمثل بطريقة مشابهة الصيغة التى يرفض بها الأب العدوانية والعناد، وفى الحقيقة ليس هنالك شىء «غير أخلاقى» فيما يختص بمغفرة المحبة كما نتعلمها من يسوع عندما عفا عن قاتليه لحظة موته.

ولكن هل هذه المعاناة التى تفتدى الإنسان ضرورية للقدرة الكلية الإلهية، فالإسلام يقول إن رحمة الله تسع جميع مخلوقاته **والقرآن** يؤكد: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢]. وهذا يعنى أن المغفرة الإلهية عمل مهيب يحدث دون جهد، ولهذا فإن فكرة «المخلص» الذى «مكن» الرب من أن يغفر لنا توحى بالعجز الربانى، فهل يحتاج الرب أبدًا «للمساعدة» من أجل تحقيق إرادته؟ وهذا يوضح أننا نحتاج لأن نكون فطنين وحذرين جداً فيما نقوله أثناء الدعوة خشية الوقوع فى مفاهيم خاطئة، ما هى الطريقة التى يمكن أن نوضح بها» «ضرورة» الصليب باعتباره شكل ومضمون القدرة الربانية فى المغفرة؟ هل يمكن لمغفرتنا -إذا جاز التعبير- أن تكون مشكلة للرب؟.

ومن الطبيعى أنه إذا كان الغفران بلا مجهود فهو بالتالى غير ضرورى، إذ ليست هنالك إساءة حقيقية أو شر حقيقى بين الإنسان والرب، علاوة على ذلك فإن المغفرة هى إحدى تلك الأشياء التى لا يمكن الحصول عليها حتى تطلب ولا أن تمنح إلا إذا كانت ستقبل، إن الغفران لنا هو ليس مجرد تلويح باليد أو رفع الإصبع وإنما إحياء المودة والإلفة، إن ضرورة الصليب للمغفرة الربانية المناسبة التى تنسجم مع ظروفنا البشرية ومع رحمة الرب هى نفس النمط لمفهوم المقدرة الإلهية التى يتمسك بها الإسلام. «إن المسيح المصلوب هو قوة الرب» ومحبة المسيح فى موته وقيامه هو رمز للمقدرة الإلهية، ففى الصليب تكمن «إحدى الأسرار المقدسة والعظيمة لتلك القوة والتى تم بواسطتها فى النهاية تخليص الشر

كله»، ونحن مدعوون لأن نخلص أفكار الناس النبيلة وليس شرورهم فقط، وفى سبيل تحقيق مهمتنا هذه يجب أن نجعل من العقبات التى تواجهنا منطلقًا لنا.

هنالك الكثير الذى يمكن أن يقال ولكن الأبحاث لها حدود تقف عندها غير أنه مهما كانت درجة «نجاح» جهودنا فى الاتصال فإننا قد نتمكن على الأقل من تجديد قلوبنا فى الاعتقاد بأن الكنيسة المخلصة سوف تكون دائمًا وسيلة الحاضر والخلاص المناسب فى عالم الحقائق «وما تبقى فبيد الرب».

خلاصة تعقيبات المشاركين

لقد أثار البحث الذى قدمة دكتور كراج الإعجاب والتقدير وذلك لأسلوب ذلك الرجل وإلمامه العميق بالإسلام، كما ضاعف البحث من إعجاب المعجبين بدكتور كراج وقد عبر أحدهم عن ذلك قائلاً: «إن دكتور كراج قد صور المسائل اللاهوتية على لوحة بارزة عريضة بحيث يمكننا مشاهدة مضمون الخلافات بدلاً من مجرد رؤية النقاط المحدودة».

وشعر القراء أن دكتور كراج كان واقعياً فى تثبيت الجسور والعقبات ولكنه كان لديه استعداد إيجابى لتسليط مزيد من الأضواء على الجسور، إضافة إلى ذلك فقد اعتبرت حججه على أنها ليست مجرد وسيلة بل تنبع من تقدير أصيل للإسلام والمسلمين، وقد أشار أحد التعقيبات إلى أن هذا هو سر العمل التنصيرى الذى نأمل تحقيقة، وأضاف القارئ محذرًا ومستفسرًا عن بعض عبارات دكتور كراج: «يجب أن لا نكون فى وهم من صعوبة المهمة، كما يجب أيضًا أن لا نتحرك تحت تأثير أوهام خاطئة يولدها تحاملنا وتبلد أحاسيسنا، وانتقد عدد قليل من المشاركين بصورة ودية أسلوب المؤلف الرفيع قائلين:

- «إن غزارة علم دكتور كراج عالية لدرجة أنه لا يستطيع أحيانًا توصيل ما يريده إلينا».
- «بسبب إلمامه الكامل بالموضوع، فإن دكتور كراج لا يستخدم أية ملاحظات هامشية، وبتواضعه المعتاد لا يستخدم أى ثبت للمراجع».

وكان هنالك عدد من المشاركين الذين لم يكونوا على اتفاق كامل مع المؤلف.

ويقول أحدهم: «على الرغم من أن **كراج** كان حاضراً فى **مشاورات ويلوبانك** فإن بحثه ينتمى كاملاً إلى مرحلة ما قبل ويلوبانك. واعتقادى هو أن هذه ليست فقط خطوة زمنية للوراء وإنما هى فى الأسلوب أيضًا».

وعارض البعض استخدام **القرآن** فى عملية التنصير كما يطلب دكتور كراج إذ يشعرون بأن استخدام مقاطع من كل من **الإنجيل والقرآن** يعطى فى الحقيقة صلاحية متساوية لكليهما، ويقول أحدهم: «إن استخدام الجسور الإسلامية ربما ينحرف تمامًا بالموضوع ويثير قضية الوحى».

وقد عارض قارئ آخر رأى **دكتور كراج** القائل بأن الانفتاح على الحقيقة القرآنية لا يعنى المساومة بكمال النصرانية، ويعتقد هذا القارئ أن الانفتاح على الحقيقة القرآنية من الناحية المبدئية والعلمية هو مساومة بكمال النصرانية لأننا نؤمن بأن **الكتاب المقدس** هو وحده مصدر الحقيقة.

وأشار آخرون إلى أن خبرة **دكتور كراج** فى الدراسات القرآنية تفوق خبرة معظم المسلمين، كما أشار هؤلاء إلى أنه فى مثل هذه الحالة سرعان ما يدخل الدارسون فى مصاعب نتيجة للتناقض بين اعتقاد المسلمين الذى يرجعونه للقرآن وبين المعانى الحقيقية فى **القرآن**، وكتب آخرون يؤكدون هذا التحفظ لشعورهم بأن دراسة **دكتور كراج** تخاطب فقط «الصفوة» المثقفة المحدودة من المسلمين ولهذا «لن نستطيع أن ننجز إلا القليل باتباعها» فى المناطق التى يكون فيها فهم غالبية المسلمين للقرآن محدوداً.

وعمومًا كان رد الفعل تجاه دراسة **دكتور كراج** إيجابياً للغاية وكان النقد بناءً جداً، وقد أدى العديد من آرائه لمزيد من النقاش المكثف بين المشاركين المتحمسين، فأثنى أحدهم مثلاً بصورة خاصة على عبارة الكاتب من أن «جزيرة العرب فى القرن السابع الميلادى كانت أشبه بسامرة **إيليا** منه **بأورشليم يسوع**..». وانطلاقًا من هذا أضاف القارئ: «لقد بقينا لفترة طويلة نفترض بأن كافة الناس الذين عاشوا ويعيشون فى فترة ما بعد الميلاد من المفروض أن تكون لديهم نفس المعرفة التى

لدينا عند الرب. . . يجب علينا أن نتعلم أن نتعلم الناس الذين يعيشون طبقًا لما لديهم من معرفة بإيجابية أكثر حتى لو كانت معرفتهم مخالفة لمعرفتنا».

رد الكاتب على تعقيبات المشاركين

إنه لمن دواعى العرفان أن يجد المرء هذا العدد من المؤيدين للاعتقاد بأن النصرانى يجب أن يكون يقظًا ومتفتحًا فى تعاملة مع القرآن (كقالب للفكر الإسلامى)، وأن يكون قادرًا فى نفس الوقت على إدراك التبعة التى تلقيها هذه المعرفة على التزامه النصرانى بأن «الرب فى شخص المسيح قد صالح العالم مع ذاته» كما أن المرء لا يستطيع إلا أن يبدى تقريره للدوافع الفطرية والتحفظات التى أبديت وتفهمة للأنماط الفكرية التى يجب التغلب عليها.

وأود أن أؤكد أنه لم تدر بخلدى أى تنازلات أو «مساومات» بشأن الوحى النصرانى (ناهيك عن أية «مساومة» على غرار «خذ وأعط»)، ولذلك فإن أية تحفظات بشأن هذه الأمور لا مبرر لها وتعتبر غير ضرورية، ولكننى كنت أدعو إلى موقف من الوحى يهتم بالمضمون الذى يشكل أساس مكانة الوحى وليس العكس، فالوحى هو ذلك الذى يعبر عن الحقيقة وبالتالى يسيطر على من يقرؤه (ومن يؤمن به). إن كلمة «إنجيلى» ليست صفة تشابه بطاقة خاصة بزجاجة معينة وبالتالى لا يجوز وضعها على زجاجة أخرى، فالكلمة تعبر عن مخزون متناسق من المعايير المتعلقة بمفاهيم الرب والإنسان والطبيعة والشريعة والمغفرة والخطيئة ويرشدنا فى تقييمنا للمصادر الأخرى، والإنجيل قد يعزز أو ينكر الاعتقاد فى بعض هذه المصادر يؤكدها أو يرفضها، وفى كلا الحالتين فإن الولاء الذى نحن عليه بالصدق فى المسيح (إنجيلاً كان أو خلافه) يجب أن يكون خلاقًا وذكيًا وجسورًا وليس جبانًا أو متبلدًا أو هيابًا، ومع ولاء كهذا يلزمنا أن نتخذ القرار بالقبول أو بالرفض وإلا لن نتمكن من تحقيق أى منهما بصورة صحيحة، ويقينى أن هذا هو جوهر القضية مع القرآن أما بقية التعقيبات فيمكن حصرها فى ثلاثة جوانب رئيسية:

١- ليست هنالك أية إشارة فى البحث «لإسلام شعبى»، وقد كان هذا (لعدد من القراء) مجالاً أكثر أهمية، إننى أوافق ولكن مهمتنا كانت «لاهويتة» وكنا نهدف إلى التعامل مع اللاهوت بدلاً من «الخرافة»، ولكن البعض قد يزعم أن

هنالك العديد من المفاتيح المشتركة فى كليهما، إن الرغبة الغريزية لمحاولة «سبر غور الأشياء وتبينها من الداخل» تنطبق على هذه الحالة، فالاعتقادات فى البركة «والعين المحسودة، والرقى. . .إلخ كلها تهيئ فرصًا للداعية النشط لأن هذه الاعتقادات ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الخوف والموت والمجهول فى الحياة البشرية، وهذا يؤكد لنا أنه لا يجب علينا أن نفترض وجود معرفة لاهوتية لا وجود لها أصلاً لدى بعض الناس، ولكن دعونا ألا نسيئ فهم الاستعداد البشرى الذى يتشوق لمعرفة الحقيقة ويبحث عنها.

٢- لقد أشار البعض إلى أن البحث قد افترض بصفة عامة مستوى رفيعًا من المعرفة لا وجود له بين المسلمين فى عالم اليوم، وتساءل هؤلاء: هل المطلوب منا تفقيه المسلمين بمعطيات تراثهم وعقيدتهم؟ وما هو الخطأ فى إهمال **القرآن**؟ وإجابتى على ذلك هى أنه فى الوقت الذى يوجد فيه تمييز واضح بين كلمتى «مسلم» و «إسلامى» بحيث إنه يكون من الحماقة تجاهله، نجد أن الاعتقاد العام «ينبع من الحقيقة المطلقة» وأنه لمن الحكمة ألا نغالى فى الفائدة التى يجنيها الناس من مصادرهم، ولكن يجب ألا نقلل من شأن هذه المصادر، ولأسباب عديدة لا يتسع المجال هنا لبحثها، نكتفى بالقول إن النقطة الأخيرة ضرورية للغاية فى هذه المرحلة.

٣- لقد أشار البعض إلى أن البحث قد أخفق لأنه لم يأخذ فى الاعتبار العلوم الحديثة مثل علم الاجتماع وعلم اللغة وعلم الأجناس البشرية وبقى فى عوالم اللاهوت «المجردة» مثله مثل **هنرى مارتن**، وقد وصف أحد المعقبين (فى تحليله الذى يستحق رداً أشمل سأقوم به مستقبلاً) البحث بأنه ينتمى كلية إلى «مرحلة ما قبل **مشاورات ويلوبانك**». ولكن الحقيقة أن وجهة النظر التى توحى بها هذه العلوم الأخرى هى التى توجب علينا التشكك فى وجهات النظر اللاهوتية، وإدراك الأمور المعقدة إدراكًا حقيقيّاً وتنبيه معاصرينا لموطن الخطر بصبر وروية علاوة على ذلك فإن تلك العلوم لا تطالبنا بوضع حد لكل صلة لاهوتية لأن جوهر **الكتاب المقدس** فى القرينة هو أن «المعنى المنسوب لشىء ما» و «المعنى الموجود فيه الحقيقة» يجب أن يكونا مرتبطين، إن فهم عقيدة بكاملها يقتضى عالمًا بكامله.